shariatallah.org

الملحق 8ط: الصليب والهيكل

هذه الصفحة جزء من سلسلة تشرح شرائع الله التي لم يكن يمكن طاعتها إلا عندما كان الهيكل قائمًا في أورشليم.

- الملحق 8أ: شرائع الله التي تتطلّب وجود الهيكل
- الملحق 8ب: الذبائح — لماذا يستحيل حفظها اليوم
- الملحق 8ج: الأعياد الكتابية — لماذا لا يمكن حفظ أيٍّ منها اليوم
- الملحق 8د: شرائع التطهير — لماذا لا يمكن حفظها بدون الهيكل
- الملحق 8هـ: العشور وأوائل الثمر — لماذا يستحيل حفظها اليوم
- الملحق 8و: خدمة الشركة — العشاء الأخير ليسوع كان فصحًا
- الملحق 8ز: شرائع النذير والنذور — لماذا يستحيل حفظها اليوم
- الملحق 8ح: الطاعة الجزئية والرمزية المرتبطة بالهيكل
- الملحق 8ط: الصليب والهيكل (هذه الصفحة).

الصليب والهيكل ليسا عدوَّين، وليسا مرحلتين يستبدل فيهما أحدهما الآخر أو يُبطِل أحدهما الآخر. شريعة الله أبدية (مزمور ١١٩:٨٩؛ مزمور ١١٩:١٦٠؛ ملاخي ٣:٦). ونظام الهيكل، بكل ذبائحه وكهنوته وشرائع الطهارة فيه، أُعطي بواسطة هذه الشريعة الأبدية نفسها. موت يسوع لم يُبطِل وصية واحدة. بل كشف العمق الحقيقي لما كانت تلك الوصايا تعلِّمه منذ البداية. لم يُدمَّر الهيكل لإنهاء الذبائح، بل كدينونة على العصيان (٢ أخبار الأيام ٣٦:١٤-١٩؛ إرميا ٧:١٢-١٤؛ لوقا ١٩:٤١-٤٤). مهمّتنا هي أن نُمسِك بهذه الحقائق معًا دون أن نُخترِع دينًا جديدًا يستبدل الشريعة بأفكار بشرية عن الصليب.

التعارض الظاهري: الحَمَل والمذبح

للوهلة الأولى، يبدو أن هناك تعارضًا:

- من جهة، شريعة الله تأمر بالذبائح والتقرّبات والخدمة الكهنوتية (اللاويين ١:١-٢؛ الخروج ٢٨:١).
- ومن الجهة الأخرى، يُقدَّم يسوع على أنه «حَمَل الله الذي يرفع خطيّة العالم» (يوحنا ١:٢٩؛ ١ يوحنا ٢:٢).

كثيرون يقفزون إلى استنتاج لا يقوله الوحي أبدًا: «إن كان يسوع هو الحَمَل، إذًا انتهت الذبائح، وانتهى الهيكل، ولم تعد الشريعة التي أمرت بها ذات أهميّة.»

لكن يسوع نفسه رفض هذا المنطق. فقد قال بوضوح إنه لم يأتِ لينقض الشريعة أو الأنبياء، وإنه لن يسقط من الشريعة حتّى أصغر حرف أو نقطة إلى أن تزول السماء والأرض (متى ٥:١٧-١٩؛ لوقا ١٦:١٧). السماء والأرض لا تزالان قائمتين. والشريعة ما زالت ثابتة. الوصايا المتعلّقة بالذبائح والتقرّبات والهيكل لم تُلغَ قطّ على فمِه.

الصليب لا يمحو شرائع الهيكل. الصليب يكشف ما كانت تلك الشرائع تشير إليه حقًا.

يسوع حَمَلُ الله – إتمامٌ بلا إلغاء

عندما دعا يوحنا يسوع «حَمَل الله» (يوحنا ١:٢٩)، لم يكن يعلن نهاية نظام الذبائح، بل كان يعلن المعنى الحقيقي لكل ذبيحة قُدِّمت بالإيمان عبر التاريخ. دم الحيوانات لم يكن يحمل قوّة في ذاته (١ بطرس ١:١٩-٢٠). قوّتُه كانت تأتي من الطاعة لما أمر به الله، وممّا كان يمثِّله: الذبيحة المستقبليّة للحَمَل الحقيقي. الله لا يقول شيئًا ثم يناقض نفسه فيما بعد (العدد ١٩:٢٣).

منذ البداية، كان الغفران يعتمد دائمًا على أمرين يعملان معًا:

- الطاعة لما أمر به الله (التثنية ٢٦:١١-٢٨؛ حزقيال ٢١:٢٠)
- والوسيلة التي عيَّنها الله بنفسه للتطهير (اللاويين ١١:١٧؛ العبرانيين ٢٢:٩)

في إسرائيل القديمة، كان المطيعون يذهبون إلى الهيكل، ويقدِّمون الذبائح كما تطلب الشريعة، فينالون تطهيرًا حقيقيًا، لكنه مؤقّت ضمن العهد. أمّا اليوم، فالمطيعون يقودهم الآب إلى الحَمَل الحقيقي، يسوع، لينالوا تطهيرًا أبديًا (يوحنا ٦:٣٧؛ يوحنا ٦:٣٩؛ يوحنا ٦:٤٤؛ يوحنا ٦:٦٥؛ يوحنا ٦:١٧). النمط هو نفسه: الله لا يطهِّر المتمرّدين (إشعياء ١١:١-١٥).

كون يسوع هو الحَمَل الحقيقي لا يمزّق الوصايا الخاصة بالذبائح، بل يبرهن أن الله لم يكن يلعب بالرموز. كل شيء في الهيكل كان جديًا، وكل شيء كان يشير إلى حقيقة حقيقية.

لماذا استمرّت الذبائح بعد الصليب

لو كان قصد الله أن يُبطِل الذبائح في اللحظة التي مات فيها يسوع، لكان الهيكل سقط في ذلك اليوم نفسه. لكن ماذا حدث في الواقع؟

- انشقّ حجاب الهيكل (متى ٢٧:٥١)، لكن المبنى نفسه بقي قائمًا، واستمرّت العبادة فيه (أعمال الرسل ٢:٤٦؛ أعمال الرسل ٣:١؛ أعمال الرسل ٢١:٢٦).
- استمرّت الذبائح والطقوس الهيكلية تُقدَّم كل يوم (أعمال الرسل ٣:١؛ أعمال الرسل ٢١:٢٦)، وكل سفر أعمال الرسل يفترض وجود مقدِس عامل.
- استمرّ الكهنوت في الخدمة (أعمال الرسل ٤:١؛ أعمال الرسل ٦:٧).
- استمرت الأعياد تُحفَظ في أورشليم (أعمال الرسل ٢:١؛ أعمال الرسل ٢٠:١٦).
- وحتى بعد القيامة، كان المؤمنون بيسوع يُرَون في الهيكل (أعمال الرسل ٢:٤٦؛ أعمال الرسل ٣:١؛ أعمال الرسل ٢٠:٥-٢١؛ أعمال الرسل ٢١:٢٦)، وآلاف اليهود الذين آمنوا به كانوا «جميعهم غيورين للشريعة» (أعمال الرسل ٢١:٢٠).

لا نصّ في الشريعة، ولا في كلام يسوع، ولا في الأنبياء يُعلِن أن الذبائح ستصبح فجأة خطيّة أو باطلة بمجرد موت المسيح. لا توجد نبوّة تقول: «بعد موت ابني، تكفّون عن تقديم الحيوانات، لأن شريعتي في الذبيحة قد أُبطلت.»

على العكس، استمرّت خدمات الهيكل لأن الله ليس ذا لسانين (العدد ٢٣:١٩). فهو لا يأمر بشيء على أنه مقدّس، ثم يعامله في الخفاء كأنه نجس لمجرّد أن ابنه مات. لو أن الذبائح صارت عصيانًا منذ لحظة موت يسوع، لأعلن الله ذلك بوضوح. لكنه لم يفعل.

استمرار خدمة الهيكل بعد الصليب يبرهن أن الله لم يُبطِل أيّ وصية مرتبطة بالمقدِس. كل تقدمة، وكل طقس تطهير، وكل واجب كهنوتي، وكل عمل عبادة قومي بقي ساريًا، لأن الشريعة التي أسّستها لم تتغيّر.

الطبيعة الرمزية لنظام الذبائح

كان نظام الذبائح بأكمله رمزيًا في تصميمه، لا لأنه اختياري أو بلا سلطان، بل لأنه كان يشير إلى حقائق لا يستطيع أن يكمّلها إلا الله نفسه في الوقت الذي يحدّده. الشفاءات التي كان يؤكّدها كانت مؤقّتة — فالمريض يمكن أن يمرض مرّة أخرى. والتطهير الطقسي كان يستعيد الطهارة لفترة، لكن النجاسة يمكن أن تعود. حتى ذبائح الخطية

كانت تجلب غفرانًا يُطلَب مرارًا وتكرارًا. لم يكن أيٌّ من هذه الأمور هو الإزالة النهائية للخطيّة أو للموت؛ بل كانت رموزًا مأمورًا بها إلهيًا تُشير إلى اليوم الذي فيه يُبيد الله الموت نفسه (إشعياء ٢٥:٨؛ دانيال ١٢:٢).

جعل الصليب تلك النهائية ممكنة، لكن النهاية الحقيقية للخطيّة لن تُرى إلا بعد الدينونة الأخيرة والقيامة، عندما يقوم الذين عملوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة (يوحنا ٢٨:٥-٢٩). عندئذ فقط يُبتلَع الموت إلى الأبد. وبما أن خدمات الهيكل كانت رموزًا تشير إلى حقائق أبدية وليست هي الحقائق نفسها، فإن موت يسوع لم يجعلها غير ضرورية. لقد بقيت سارية المفعول إلى أن أزال الله الهيكل في دينونة — لا لأن الصليب ألغاه، بل لأن الله اختار أن يقطع الرموز، بينما الحقائق التي كانت تشير إليها ما زالت تنتظر إتمامه النهائي في نهاية الدهر.

كيف يعمل الغفران اليوم

إن كانت الوصايا الخاصة بالذبائح لم تُبطَل قط، وإن كان نظام الهيكل استمرّ حتى بعد الصليب — إلى أن أنهاه الله بنفسه سنة ٧٠ ميلادية — يبرز سؤال طبيعي: كيف يمكن أن يُغفَر لأحد اليوم؟ الجواب نجده في النمط نفسه الذي وضعه الله منذ البداية. كان الغفران دائمًا يأتي بالطاعة لوصايا الله (٢ أخبار الأيام ٧:١٤؛ إشعياء ٥٥:٧) وبالذبيحة التي عيّنها الله بنفسه (اللاويين ١٧:١١؛ العبرانيين ٩:٢٢). في إسرائيل القديمة، كان المطيعون ينالون تطهيرًا طقسيًا عند المذبح في أورشليم، وكانت الشريعة تُجري ذلك أساسًا بسفك الدم (اللاويين ٤:٢٠؛ اللاويين ٤:٢٦؛ اللاويين ٤:٣١؛ العبرانيين ٩:٢٢). أمّا اليوم، فالمطيعون يُطهَّرون بواسطة ذبيحة المسيح، الحَمَل الحقيقي لله الذي يرفع الخطيّة (يوحنا ١:٢٩).

هذا لا يمثّل تغييرًا في الشريعة. لم يُلغِ يسوع وصايا الذبائح (متى ٥:١٧-١٩). بل عندما أزال الله الهيكل، غيّر المكان الخارجي الذي تلتقي فيه الطاعة بالتطهير. لكن المعيار بقي نفسه: الله يغفر للذين يخافونه ويحفظون وصاياه (مزمور ١٧:١٠٣-١٨؛ الجامعة ١٢:١٣). لا يأتي أحد إلى المسيح إلا إذا جذبه الآب (يوحنا ٦:٣٧؛ يوحنا ٦:٣٩؛ يوحنا ٦:٤٤؛ يوحنا ٦:٦٥؛ يوحنا ١٧:٦)، والآب لا يجذب إلا الذين يكرمون شريعته (متى ٧:٢١؛ متى ١٩:١٧؛ يوحنا ١٧:٦؛ لوقا ٨:٢١؛ لوقا ١١:٢٨).

في إسرائيل القديمة، كانت الطاعة تقود الإنسان إلى المذبح. أمّا اليوم، فالطاعة تقود الإنسان إلى المسيح. المشهد الخارجي تغيّر، لكن المبدأ لم يتغيّر. لم يكن غير الأمناء في إسرائيل يُطهَّرون بالذبائح (إشعياء ١١:١-١٦)، ولا يُطهَّر غير الأمناء اليوم بدم المسيح (العبرانيين ٢٦:١٠-٢٧). الله يطلب دائمًا الأمرين نفسيهما: طاعة شريعته، والخضوع للذبيحة التي عيَّنها.

منذ البداية، لم يكن هناك لحظة واحدة كان فيها دم أيّ حيوان، أو تقدمة أيّ حبوب أو دقيق، يجلبان سلامًا حقيقيًا بين الخاطئ والله. تلك الذبائح كانت مأمورًا بها من الله، لكنها لم تكن المصدر الحقيقي للمصالحة. يعلّمنا الكتاب أنه «غير ممكن أن دم ثيران وتيوس يرفع خطايا» (العبرانيين ١٠:٤)، وأن المسيح كان معروفًا قبل تأسيس العالم (١ بطرس ٢٠-١:١٩). منذ عدن، كان السلام مع الله يأتي دائمًا من خلال الابن الكامل، الذي بلا خطيّة، الوحيد المولود (يوحنا ١:١٨؛ يوحنا ٣:١٦) — ذاك الذي كانت كل ذبيحة تشير إليه (يوحنا ١٤:٣-١٥؛ يوحنا ٣:١٦). كانت التقرّبات الماديّة علامات ملموسة تسمح للبشر أن يروا ويلمسوا ويشعروا بجدّية الخطيّة، وأن يفهموا بثمن ملموس تكلفة الغفران. عندما أزال الله الهيكل، لم تتغيّر الحقيقة الروحية. الذي تغيّر هو الشكل المادي. وبقيت الحقيقة كما هي: ذبيحة الابن هي التي تجلب السلام بين المذنب والآب (إشعياء ٥٣:٥). توقّفت الرموز الخارجية لأن الله اختار أن يزيلها، لكن الحقيقة الداخليّة — أي التطهير الذي يمنحه من خلال ابنه للذين يطيعونه — ما زالت ثابتة بلا تغيير (العبرانيين ٥:٩).

لماذا دمّر الله الهيكل

لو كان خراب الهيكل سنة ٧٠ ميلادية مقصودًا به «إلغاء الذبائح»، لقال الكتاب ذلك. لكنه لا يقول. بل إن يسوع نفسه شرح السبب الحقيقي للخراب الآتي: الدينونة.

لقد بكى على أورشليم وقال إن المدينة لم تعرف زمان افتقادها (لوقا ١٩:٤١-٤٤). وحذّر من أن الهيكل سيُهدَم حجرًا فوق حجر (لوقا ٢١:٥-٦). وصرّح أن البيت تُرك لهم خرابًا بسبب رفضهم الاستماع لرسل الله (متى ٢٣:٣٧-٣٨). هذا لم يكن إعلان لاهوت جديد تقول فيه إن الذبائح أصبحت شرًّا، بل كان النمط القديم نفسه في الدينونة: نفس السبب الذي لأجله خُرِّب الهيكل الأول سنة ٥٨٦ قبل الميلاد (٢ أخبار الأيام ٣٦:١٤-١٩؛ إرميا ٧:١٢-١٤).

بمعنى آخر:

- سقط الهيكل بسبب الخطيّة، لا لأن الشريعة تغيّرت.
- أُزيل المذبح بسبب الدينونة، لا لأن الذبائح صارت شرّيرة.

بقيت الوصايا مكتوبة، أبدية كما كانت دائمًا (مزمور ١١٩:١٦٠؛ ملاخي ٣:٦). الذي أزاله الله هو الوسائل التي بها كان يمكن تنفيذ تلك الوصايا.

الصليب لم يُعطِ إذنًا بدينٍ جديد بلا شريعة

أغلب ما يُسمّى اليوم «المسيحية» مبني على كذبة بسيطة: «بسبب موت يسوع، أُبطِلَت شريعة الذبائح والأعياد وشرائع الطهارة والهيكل والكهنوت. لقد استبدل الصليب كل ذلك.»

لكن يسوع لم يقل هذا أبدًا. والأنبياء الذين تنبّأوا عنه لم يقولوا هذا أيضًا. بل كان المسيح واضحًا أن أتباعه الحقيقيّين يجب أن يطيعوا وصايا أبيه كما كُتبت في العهد القديم، تمامًا كما فعل الرسل والتلاميذ (متى ٧:٢١؛ متى ١٩:١٧؛ يوحنا ١٧:٦؛ لوقا ٨:٢١؛ لوقا ١١:٢٨).

الصليب لم يُعطِ لأحد سلطانًا أن:

- يُبطِل شرائع الهيكل
- يخترع طقوسًا جديدة مثل خدمة العشاء الرباني لتحلّ محلّ الفصح
- يحوّل العشور إلى رواتب للرعاة
- يستبدل نظام الطهارة الإلهي بتعاليم معاصرة
- يعامل الطاعة كأمر اختياري

لا شيء في موت يسوع يسمح للبشر أن يعيدوا كتابة الشريعة. بل يؤكّد فقط أن الله جديّ في مسألة الخطيّة وجديّ في مسألة الطاعة.

موقفنا اليوم: نطيع ما يمكن طاعته، ونُكرِم ما لا يمكن طاعته

يلتقي الصليب والهيكل في حقيقة واحدة لا مفرّ منها:

- الشريعة ما زالت بلا مساس (متى ١٧:٥-١٩؛ لوقا ١٦:١٧).
- الهيكل قد أزاله الله (لوقا ٢١:٥-٦).

وهذا يعني:

- الوصايا التي يمكننا أن نطيعها اليوم يجب أن نطيعها، بلا أعذار.
- الوصايا التي تعتمد على وجود الهيكل يجب أن نُكرِمها كما كُتبت، لكن دون ممارستها، لأن الله نفسه أزال المذبح والكهنوت.

نحن لا نبني اليوم نسخة بشرية من نظام الذبائح، لأن الله لم يُعِد الهيكل بعد. ولا نُعلن أن شرائع الذبائح قد أُبطلت، لأن الله لم يُلغِها.

نقف بين الصليب وجبل الهيكل الفارغ بخوف ورعدة، عالمين أن:

- يسوع هو الحَمَل الحقيقي الذي يطهِّر الذين يطيعون الآب (يوحنا ١:٢٩؛ يوحنا ٦:٤٤).
- شرائع الهيكل بقيت مكتوبة كفرائض أبدية (مزمور ١١٩:١٦٠).
- استحالة تطبيقها الآن هي نتيجة دينونة الله، لا إذنٌ لنا لاختراع بدائل (لوقا ١٩:٤١-٤٤؛ لوقا ٢١:٥-٦).

الصليب والهيكل معًا

الطريق المستقيم يرفض كلا الطرفين:

- لا نقول: «يسوع ألغى الذبائح، إذًا الشريعة لم تعد مهمّة.»
- ولا نقول: «يجب أن نُعيد الذبائح الآن بطريقتنا نحن، دون هيكل الله.»

بل:

- نؤمن أن يسوع هو حَمَل الله، الذي أرسله الآب لأجل الذين يطيعون شريعته (يوحنا ١:٢٩؛ يوحنا ١٤:١٥).
- نقبَل أن الله أزال الهيكل كدينونة، لا كإلغاء (لوقا ١٩:٤١-٤٤؛ متى ٢٣:٣٧-٣٨).
- نطيع كل وصية ما زال بالإمكان تنفيذها جسديًا اليوم.
- نكرّم الوصايا المرتبطة بالهيكل برفض استبدالها بطقوس بشرية.

الصليب لا ينافس الهيكل. الصليب يكشف المعنى الكامن وراء الهيكل. وإلى أن يُعيد الله ما أزاله، تظلّ مهمّتنا واضحة:

- نطيع ما يمكن طاعته.
- نُكرِم ما لا يمكن طاعته.
- ولا نستخدم الصليب أبدًا كذريعة لتغيير الشريعة التي جاء يسوع ليتمّمها لا لينقضها (متى ٥:١٧-١٩).